

المواطنة عند مالك بن نبي - مقارنة اجتماعية

Citizenship according to Malik Bennabi –a social approach

طاهر لقواس علي^{*1}

جامعة حسيبة بن بوعلي (الشلف) taharlakouesali@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022-10-18 تاريخ القبول: 2022-11-13 تاريخ النشر: 2022-12-27

ملخص البحث

تعتبر المواطنة من بين المفاهيم المركزية لبناء أية حضارة، إذ لا يمكن اختزالها في الجانب السياسي أو القانوني فقط - كما ذهب بعض المفكرين - بل لابد من ردها إلى سياقها الثقافي والحضاري. وإذا كانت المواطنة عموماً هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى الوطن، وبالتالي مشاركة الفرد في تسيير شؤون الدولة. فإن المواطنة عند مالك بن نبي ليست مجرد معادلة بين الحق والواجب، بل هي أكثر من ذلك، إنها مسألة تتعلق بالقيام بالواجب أكثر من المطالبة بالحقوق. وهذا ما نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إبرازه، أي مفهوم المواطنة ودورها في بناء مجتمع متحضر عند مالك بن نبي.

الكلمات المفتاحية: المواطنة، الحضارة، المجتمع، التربية، العلاقات الاجتماعية

Research Summary

Citizenship is considered as the central concepts for building any civilization, as it cannot be reduced either to the political or legal aspect and- as some thinkers

* المؤلف المرسل: طاهر لقواس علي

thought - but must be returned to its cultural and civilized context. And if citizenship in general is the quality of a citizen who enjoys rights and abides by the duties imposed on him by his belonging to the homeland, and thus the individual's participation in the conduct of state affairs. Citizenship according to Malik Bennabi is not just an equation between right and duty, but rather more than that, it is a matter of doing duty more than demanding rights. This is what we seek through this intervention to highlight. Any concept of citizenship and its role in building a civilized society according to Malik Bennabi.

Keywords: citizenship, civilization, society, éducation, social relations

1. مقدمة:

لقد جاء مالك بن نبي (1905 - 1973) في مرحلة تاريخية متميزة، شهدت تمايزاً وتفاضلاً بين عالمين: العالم الغربي الأوربي المتقدم والمستعمر، والعالم العربي الإسلامي المتخلف المستعمر. هذا الوضع الذي عايشه مالك بن نبي بذاته، بأفكاره، وبكل جوارحه، هذا الوضع دفعه لبحث وتحليل ودراسة الجانبين، متسائلاً عن سبب تخلف الأنا وتقدم الآخر وبالتالي الصراع بين الأنا والآخر، صراعاً كان طرفاً فيه. وخلص من كل ذلك إلى نتيجة مفادها أن مشكلة كل شعب من شعوب العالم هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا مناص له من حل مشكلته إلا بفهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها.

من هنا أراد مالك بن نبي بناء مشروع فكري نهضوي حضاري، تهتدي به الشعوب المسلمة في عملية البناء الحضاري، معتقداً أن المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية ما هي إلا مشكلات حضارية بالأساس، فلا يمكن برأيه تحليل وتفسير المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية التي تعانيها الأمة الإسلامية بمعزل عن الرؤية الحضارية الشاملة التي تولدت عنها.

إن فكرة الحضارة هي الموضوع الرئيس الذي تدور حوله مختلف البحوث والدراسات التي قام بها مالك بين نبي، لأن المشكلات كلها- كما ذكرنا آنفاً- ترجع إلى مشكلة الحضارة. لهذا وضع إنتاجه الفكري تحت عنوان "مشكلات الحضارة"، إيماناً منه أن مختلف المشكلات: البناء الحضاري، الثقافة، التربية، المواطنة... هي مشكلات الحضارة، ولا يمكن معالجتها إلا في هذا السياق.

لقد كان مالك بن نبي مفكراً مبدعاً، وصاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري، وما ارتبط بها من مشكلات محورية في العالم الاسلامي، كمشكلة الثقافة ومشكلة التربية والنهضة وغيرها. ومن هنا كانت مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي ذات علاقة وظيفية بالحضارة، تهيئ لقيامها، وتحافظ على استمرارها.

تعتبر المواطنة من بين المفاهيم المركزية لبناء أمة حضارة، إذ لا يمكن اختزالها في الجانب السياسي أو القانوني فقط- كما ذهب بعض المفكرين- بل لابد من ردها إلى سياقها الثقافي والحضاري. وهذا ما قام به مالك بن نبي، إذ لم يفرد لها كتاب أو محاضرة لمعالجتها، بل يعالج هذا المفهوم في سياق تحليلاته الحضارية لمختلف القضايا التي يعاني منها العالم الاسلامي. وهذا ما نلمسه من خلال حديثه عن الحقوق والواجبات وميلاد مجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعية.

استناداً لما سبق جاءت هذه الدراسة لتتناول مفهوم المواطنة عند مالك بن نبي ودورها في البناء الحضاري وفي تقدم ونهضة المجتمعات الاسلامية، وفي خلق الروابط الاجتماعية القوية التي تنبع من الجانب الروحي والنفسي للفرد وليس مما يحدده القانون.

2. مالك بن نبي: حياته ومؤلفاته

يمكن أن نقسم حياة مالك بن نبي إلى ثلاث مراحل أساسية: مرحلة الميلاد والطفولة، ومرحلة سفره إلى فرنسا وأخيراً مرحلة سفره إلى مصر.

المرحلة الأولى: في الجزائر (1905 - 1930)

ولد "مالك ابن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي" يوم 01 يناير 1905 بقسنطينة، ثم انتقلت أسرته إلى تبسة في أقصى الشرق الجزائري، وذلك لظروف سياسية استعمارية. "كان مولدي في الجزائر عام 1905، أي في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حياً من شهوده، والاطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواه"¹. وهنا يعبر مالك بن نبي عن الفترة التي ولد فيها والتي اعتبرها مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر إذ ولد في فترة تعتبر همزة الوصل بين الماضي العريق والمستقبل لم تظهر ملامحه بعد.

نشأ "مالك بن نبي" في أسرة فقيرة، فكانت والدته تعمل في الخياطة ومن أب موظف، ونشأ في عائلة محافظة، "لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناي منذ أمد بعيد مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلق ذلك من أسي في نفسها وفي نفسي. لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تسمح لها بإعالتني"². لقد عاش مالك بن نبي ظروف الفقر والحرمان والاستعمار.

درس في المدرسة الابتدائية بتبسة وتعلم فيها القرآن في المساجد، ثم انتقل إلى المدارس الفرنسية "لقد أرسلوني إلى المدرسة الفرنسية، إلا أنني في الوقت نفسه تابرت على التردد على مدرستي القديمة لتعلم القرآن، وكنت أقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحاً في المدرسة الفرنسية"³. فنهل منها وأتقن فيها، ولكنه لم يفقد شخصيته، رغم تحصيله الثقافي الفرنسي، إلا أنه ظل محافظاً على أصالته وانتمائه إلى الحضارة الإسلامية.

وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية سنة 1918، انتقل إلى قسنطينة لمواصلة دراسته الثانوية وتخرج منها عام 1925. ثم اشتغل عوناً في محكمة "أفلو" ثم في "شلغوم العيد"، حتى استقال منها في عام 1928، هروباً من المظالم السائدة في المحاكم والإدارات الفرنسية الاستعمارية.

وفي هذه الفترة قرأ الكثير من الكتب، ومن أهمها كتابان أثرا في تكوينه ونفسيته، هما كتاب "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق" لأحمد رضا، وكتاب "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده، وارتبط بصداقة متميزة مع المرحوم "حمودة بن ساعي"، كما تعرف على بعض تلامذة الشيخ "عبد الحميد بن باديس"⁴.

المرحلة الثانية: في باريس (1930 - 1956)

سافر "مالك بن نبي" سنة 1930 إلى فرنسا، حيث التحق بالجامعة وأتم دراسته بها وتخرج منها مهندساً كهربائياً. وهناك تزوج من امرأة فرنسية بعد أن اعتنقت الاسلام، وسمت نفسها خديجة، وكان لها الفضل في تكوين مالك بن نبي حيث تعرف بواسطتها على الثقافة الفرنسية، وتعرفت هي الأخرى على الحضارة الاسلامية. غير أن مالك بن نبي لم يقف من هذه الحضارة موقف المهزوم من داخله، بل راح يتأمل هذه الحضارة وفيها يقول: "الواقع أن الفرنسي، ما إن يخرج من مكتبه أو مصرفه حتى يصير في بيته نجاراً وحداداً وكهربائياً ومصالح أقفال ومفاتيح... يبرهن بذلك على أنه رجل الحضارة التكنية التي تحلل الذرة وترسل الصواريخ... يقابل ذلك أنه في الجزائر على سبيل المثال وفي الفترة التي نتحدث عنها، لا يجد رجل الريف في بيته إذا أراد إصلاح آلة محراثه للحراث، مطرقة ولا مسماراً ولا قطعة سلك، بينما يتسلى رجل الحضارة بلعب (الدمينو) والأوراق"⁵.

وكان مالك كثير الاطلاع والقراءة في الأدب العربي القديم، وفي كثير من كتب التفسير، إضافةً إلى اطلاعه على أدب المهجر والأدب الفرنسي، كل هذا صقل ذهنه المتوقد وفكره الناقد، فاتسع أفقه وحسه الأدبي، وأصبحت له نظرة منهجية في كل ما يدور حوله، واستطاع مالك بن نبي أن يرصد حركة الاستعمار وقسوته التي أحدثت تغييرات خطيرة في بنية المجتمع الجزائري، كل ذلك كان سبباً -أيضاً- في توجيه مسار فكره إلى البحث عن أسباب ضعف وتخلف العالم

الإسلامي، ومن ناحية أخرى محاولة البحث عن إيجاد الحلول العلمية والعملية للخلاص من هذا التقهقر والضعف.

في سنة 1938، أسس بعض العمال الجزائريين بمدينة مرسيليا نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة، فاستدعي "مالك بن نبي" للإشراف عليه. يعلم العمال الأميين عشية يوم السبت، ويلقي محاضرة عامة للجمهور مساء يوم الأحد. ولكن سرعان ما شعرت السلطة الفرنسية بخطر هذا العمل، فأوقفته بذريعة عدم امتلاك "المؤهلات الكافية لتدريس ألف باء"⁶.

المرحلة الثالثة: في القاهرة (1956 - 1963)

أما المرحلة الثالثة من حياة مالك بن نبي، فهي مرحلة سفره إلى مصر، ففي عام 1956 قرر مالك بن نبي السفر إلى البلاد العربية، فكانت وجهته القاهرة، التي استقر بها وغادر فرنسا نهائياً. وفي هذه المرحلة من حياته تعرف على العالم العربي وتعرف العالم العربي بدوره على مالك بن نبي، وأقام علاقات كثيرة بينه وبين المفكرين والطلبة العرب القادمين إلى القاهرة لطلب العلم والمعرفة. وفي عام 1959 قام بزيارة إلى سوريا ولبنان، وشارك في عدة مؤتمرات. وأثناء تواجده بمصر عكف على ترجمة كتبه إلى العربية.

وفي عام 1963 عاد مالك بن نبي إلى وطنه الجزائر بعد فترة غياب طويلة، وبعد أن تحرر من الاستعمار الفرنسي، وعين مالك بن نبي مديراً عاماً للتعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري، ثم استقال من منصبه ليتفرغ للعمل الفكري. وتوفي يوم الأربعاء 31 أكتوبر عام 1973م.

أما فيما يتعلق بمؤلفاته، فقد كان مالك بن نبي غزير الإنتاج في جميع مجالات الفكر والثقافة، فترك لنا مؤلفات عديدة تشهد على موسوعيته وسعة اطلاعه وحذقه وحبه للفكر

والثقافة. ومن مؤلفاته نذكر ما يلي: الظاهرة القرآنية عام 1946، شروط النهضة عام 1948، وجهة العالم الاسلامي عام 1954، مشكلة الثقافة عام 1959، الصراع الفكري في البلاد المستعمر، أفاق جزائرية، بين الرشاد والتهيه عام 1978

3. مفهوم المواطنة:

1.3 لغة: يعود أصل كلمة المواطنة ومدلولها إلى عهد الحضارة اليونانية القديمة، والكلمة مشتقة من (Polis) وكانت تعني المدينة باعتبارها بناءً حقوقياً، ومشاركة في شؤون المدينة، كما تستعمل كلمة المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية (Citoyenneté) وهي مشتقة من كلمة (Cité) وتقابلها باللغة الإنجليزية كلمة (Citizenship) المشتقة من كلمة (City) أي المدينة.

أما كلمة "المواطنة" بمعناها اللغوي العربي، فلا يوجد مرادف لها في القواميس العربية، فهي مشتقة من "وطن". ويشكل الوطن في اللغة العربية الأصل الذي اشتقت منه كلمة "المواطنة"، والوطن مكان يمارس فيه الفرد نشاطاته، وهو مقر الإقامة ومكان العيش والحياة. وهذا ما نجد في القاموس المحيط: "الوطن، محرّكة ويُسكن: منزل الإقامة، ومربط البقر والغنم ج: أوطان، وَطَنَ به يَظُنُّ وأَوْطَنَ: أقام، وأوطنه وَوَاطَنَهُ واستَوَاطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَنًا ومَواطِنُ مكة: موافقُها..."⁷

من خلال هذا النص يتضح أن الوطن هو مكان الإقامة، وما يشدُّ الانسان إلى ذلك المكان وهذه الإشارة نجدها في مربط البقر، فالذي يجعل الغنم والبقر ثابتاً في المكان هو ذلك القيد الذي يمثل الإلزام.

وفي كتاب "لسان العرب، لابن منظور": "الوطن وهو المنزل الذي تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان. وأوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها... ووطن

بالمكان وأوطن أقام، وأوطنه اتخذها وطناً. واستوطنت الأرض أي اتخذتها وطناً، وتوطن النفس على الشيء كالتمهيد"⁸.

2.3 اصطلاحاً: تُعرّف المواطنة بشكل عام على أنها المكان الذي يستقر فيه الفرد بشكل ثابت داخل الدولة، أو من يحمل جنسيتها ويكون مشاركاً في الحكم، ويخضع للقوانين الصادرة عنها، ويتمتع بشكل متساوي دون أي نوع من التمييز، مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق، ويلتزم بأداء مجموعة من الواجبات تجاه الدولة التي ينتمي إليها، بما تُشعره بالانتماء إليها. فهي "صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى وطن، وأهمها واجب الخدمة العسكرية وواجب المشاركة المالية في موازنة الدولة"⁹. ومن خلال هذا المفهوم يتضح أن المواطنة صفة غير جوهرية تترتب عن مؤشرات أهمها الانتماء إلى الوطن وهو الفضاء الذي تُمارس فيه المواطنة، وبالتالي لا وجود لمواطنة دون وطن.

أما دائرة المعارف البريطانية فتعرف للمواطنة بأنها: "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"¹⁰. وهنا نجد تأكيد على أن المواطنة -على وجه العموم- تكسب المواطن حقوقاً سياسية، مثل: حق الانتخاب، وتولي المناصب العامة.. إلخ.

ومن خلال المفاهيم السابقة يتضح أن المواطنة هي أن يتمتع الفرد بحقوق داخل الدولة، فهي رابطة قانونية بين الفرد والدولة التي يقيم فيها، والتي ينشأ بموجبها مجموعة من الحقوق والواجبات.

4. مفهوم المواطنة عند مالك بن نبي:

إذا كانت المواطنة عموماً هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى الوطن، وبالتالي مشاركة الفرد في تسيير شؤون الدولة. فإن المواطنة عند

مالك بن نبي ليست مجرد معادلة بين الحق والواجب، بل هي أكثر من ذلك، إنها مسألة تتعلق بالقيام بالواجب أكثر من المطالبة بالحقوق. لقد اعتبر أن "الحق ليس هدية تُعطى ولا غنيمة تُغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، فهما أي الحق والواجب متلازمان"¹¹.

لقد لاحظ مالك بن نبي أن الناس لا يقومون بشيء من أجل نهضتهم وحياتهم، بل يجلسون في المقاهي ويطالبون بحقوقهم، ومن هنا رفض تغليب الحق على الواجب، لأنه حسب رأيه يُفرغ مفهوم المواطنة من بعدها النفسي والروحي. لذلك يقول في كتابه شروط النهضة: "لقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة ونسينا الواجبات، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب بل فيما يسودنا من عادات وما يراودنا من أفكار، وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من قيم الجمال والأخلاق وما فيها أيضاً من نقائص تعترى كل شعب نائم."¹² ومن هنا أدرك مالك بن نبي أنه على الفرد الجزائري أن يدرك أن مشكلته ليست في تحقيق مطالبه وإنما في القيام بواجبه أولاً، لكي يتحصل على حقوقه، بل إن مشكلته أكبر من ذلك، فهي مشكلة حضارية بالأساس.

إن فكرة الحضارة عند مالك بن نبي هي الأساس والمحور الرئيس الذي تدور حوله جميع أفكاره، "فمشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها"¹³.

ولهذا يرى مالك بن نبي أننا نعيش خارج الحضارة ولكي نعود إلى الحضارة لابد من طريقتين: الطريق الأول هو التخلص من نفسية المستحيل ونفسية التساهل، فليس هناك شيء سهل وليس هناك شيء مستحيل. "ثم إن الباب الثاني الذي ينبغي أن نعود منه للحضارة هو

باب الواجب، وأن نركز منطقنا الاجتماعي والسياسي والثقافي على القيام بالواجب، أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق، لأن كل فرد بطبيعته تَوَاق إلى نيل الحق، ونفور من القيام بالواجب، إذن لسنا نريد من الفرد أن يطالب بحقوقه، فالطبيعة بحقوقه كفيلا. بل ينبغي على مثقفينا وسياسينا ومن يمثل كل سلطة أن يوجهوا الهمم إلى الواجب..¹⁴. ومن هنا ندرك حسب مالك بن نبي أن أساس قيام أية حضارة هو القيام بالواجب، واجب كل فرد داخل المجتمع، ويبدو من خلال ما ذهب إليه مالك بن نبي أن هذا الطرح يمثل جوهر وحقيقة مفهوم المواطنة.

ومن هنا نرى أن مالك بن نبي يُغلب فكرة القيام بالواجب على الحق، ويعتبر القيام بالواجب من أولويات المجتمع المتحضر وفي هذا يقول: "كم رددنا عبارة (إننا نطالب بحقوقنا)، تلك الحقوق الخلابة المغرية التي يستهلها الناس، فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب: طريق الواجبات"¹⁵.

انطلاقاً من تحديدنا اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المواطنة، يظهر لنا أن المواطنة تقتضي مكان أو وطن أو مجتمع يُمارس فيه الفرد سلوك المواطنة، التي قلنا عنها أنها علاقة بين الفرد والدولة أو علاقة الفرد بالمجتمع أو علاقة الفرد بالوطن، سواء من حيث الانتماء أو العيش أو في إطار نظرية الحق والواجب. أما بالنسبة لمالك بن نبي فإن المواطنة تقتضي القيام بالواجب أولاً ثم تحصيل الحقوق. لأنه مادام كل فرد قام بواجبه داخل المجتمع فإن كل فرد سيتحصل على حقه. فحق كل فرد هو واجب على غيره من الأفراد، وبالتالي فإن إشكالية المواطنة عند مالك بن نبي هي إشكالية مجتمع وإشكالية روابط اجتماعية أو علاقات اجتماعية داخل الوطن وداخل الأمة وداخل كل حضارة.

ومن هنا يعتقد مالك بن نبي أن القضية بالأساس هي "قضية مجتمع وليس قضية فرد، فالمجتمع المتحضر يكفل الضمانات للفرد مهما كانت قيمته، والمجتمع المتأخر لا يقدم الضمانات ولا يمكنه تقديمها، لأن الحياة تتكامل بوصفها كلاً"¹⁶. ومن هنا يتضح لنا أن مسألة المواطنة هي مسألة تتعلق بعلاقة الفرد بالمجتمع المتحضر، وبالروابط التي تربط بين أفرادها.

وبالتالي لا بد من تشييد حضارة، "فحينما نقول إننا نريد أن نكون مجتمعاً يقدم الضمانات الاجتماعية للفرد ويؤيد الأمن في العالم، أو أننا نريد أن ندرس قضايا مجتمعنا، اقتصادية كانت أم اجتماعية، فإن شروط وصولنا إلى تحقيق هذا كله هي شروط الحضارة. بل إنه لا يمكن أن تتبع هذه الشروط إلا من الحضارة، ولا يمكن أن تتحقق إلا في إطارها"¹⁷. ولهذا لا يمكن لأي إنسان أن يعيش بمعزل عن الآخر ولا بد من تكوين مجتمع يضمن للفرد حياته، ومختلف الضمانات الاجتماعية. ولكن هل هذا يعني أن المجتمع هو مجموعة من الأفراد يعيشون فيما بينهم؟

إن المجتمع حسب مالك بن نبي ليس مجموعة من الأفراد يعيشون كما يشاءون مهما كانت الصلات بينهم. وفي تعريفه للمجتمع يقول مالك بن نبي: "أما المجتمع الذي يقوم بوظيفته التاريخية، المجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحة الفرد، فإنه لا بد أن نفهم معناه فهماً دقيقاً. فهو ليس عدداً من الأفراد، وإنما هو شيء خاص، هو بنيان وليس تكديساً من الأفراد، بنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها. فقبل أن تتجمع الأفراد تكون هناك فكرة عامة هي التي تؤلف بين أفراد المجتمع. فإذا فقدت هذه الفكرة فقدت الصلات بين الأفراد، وتفكك المجتمع وضاعت المصلحة التي كانت تتمثل فيه."¹⁸. فالمجتمع في أبسط معانيه هو "تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة"¹⁹.

وفي تأكيد على أهمية العلاقات الاجتماعية ودورها في بناء المجتمع يقول مالك بن نبي "إن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه (فرداً) Individu إلى أن يصبح (شخصاً) Personne وذلك بتغيير صفته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع"²⁰. إن هذه الروابط الاجتماعية بين مختلف أفراد المجتمع هي التي سادت المجتمع الجزائري إبان الاستعمار وهي التي خلقت الوحدة داخله وحققت ما وصل إليه المجتمع الجزائري (الاستقلال). وهذا ما يخلق داخل المجتمع مختلف القيم الانسانية ومن بينها المواطنة.

ولترسيخ قيم المواطنة داخل المجتمع، يذهب مالك بن نبي إلى اعتبار أن الثقافة بمعناها التربوي والذي يتحدد من خلال هدفها فهي ليست علماً خاصاً لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي. فالثقافة هي الجسر الذي به يعبر المجتمع إلى الرقي والتحضر ومن جهة أخرى تشكل حاجز يحفظ الأفراد من السقوط في الهاوية.

وعلى هذا الأساس، فإن الثقافة تشمل حياة واحدة تجمع بين راعي الغنم والعالم، فهي تهتم بكل طبقات المجتمع، وعلى ذلك فالثقافة تتدخل في شؤون الفرد وفي بناء المجتمع. وتعتبر أشمل نقول: "الثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكار(النخبة) كما يحمل أفكار (العامة)، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة"²¹. وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي (التربية على قيم المواطنة) الذي يتألف من عناصر أربعة، يتخذ منها الشعب دستوراً لحياته المثقفة: عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية، عنصر الجمال لتكوين

الذوق العام، منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام، الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع، أو (الصناعة) حسب تعبير ابن خلدون.

وهذه العناصر هي ما يكون جوهر الانسان وبالتالي قوام المجتمع الذي يعيش فيه. فالتربية على القيم الأخلاقية والقيم الجمالية وعلى العمل والنشاط وعلى مختلف الفنون هو ما يشكل جوهر المواطنة.

وهنا يلجأ مالك بن نبي إلى التربية الاجتماعية والتي تستقي قواعدها العامة من علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس، من أجل ترسيخ مفهوم المواطنة بين أفراد المجتمع. إذ ليس الهدف من التربية أن نعلم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة. ولكن الهدف أن نعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أعني: أن نعلمه كيف يتحضر، باختصار التربية الاجتماعية هي الثقافة. وبالتالي " فليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء"²².

يتضح لنا من خلال ما سبق، أن الثقافة عند مالك بن نبي، لها بعد تربوي يهدف إلى التغيير وبناء الإنسان الحضاري. فتطبيق الثقافة، يعني أن تتحول إلى أسلوب حياة في المجتمع، بحيث تؤثر على كافة طبقاته الاجتماعية.

5. خاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى أن فكرة المواطنة عند مالك بن نبي، لا تعني كما يذهب بعض المفكرين، بل تتجاوز الطرح التقليدي الذي يحصرها في العلاقة السياسية التي تربط الفرد

بالدولة من خلال القيام بالواجب مقابل مجموعة من الحقوق، بل يذهب مالك بن نبي إلى اعتبار المواطنة هي أساس البناء الحضاري، فهي تشمل مختلف الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع أو الأمة.

ومن جهة أخرى يؤكد مالك بن نبي على ضرورة تقديم الواجبات على الحقوق، وهذا ما يعتبره جوهر المواطنة وقيمتها العليا، إذ أن هذه المعادلة كفيلة بتحقيق الحضارة وتقدمها. بالإضافة إلى أن المواطنة هي نتاج الروابط الاجتماعية التي مصدرها الدين ومختلف القيم الروحية والنفسية.

6. الهوامش:

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط2، 1984، ص 15.

² المصدر نفسه، ص 18.

³ المصدر نفسه، ص 24.

⁴ المصدر نفسه، ص 87-88.

⁵ المصدر نفسه، ص 221-222.

⁶ مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1986، ص 119.

⁷ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص 1238.

⁸ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د ت، ص 949.

⁹ الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، مجلد 5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط3، 1996، ص 373.

¹⁰ The New Encyclopedia Britannica ; Volume 3 ;micropaedia ;Library of congress, 15th edition, u.s.a, 2003, p332 .

¹¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي و عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2، 1987، ص 35.

¹² المصدر نفسه، ص 37.

¹³ المصدر نفسه، ص 21.

¹⁴ مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، 2002، ص 30.

¹⁵ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 37.

¹⁶ مالك بن نبي، تأملات، ص 29.

- ¹⁷ المصدر نفسه ، ص 30.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص 157.
- ¹⁹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ج1، شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق-سوريا، ط3، 1986، ص 15
- ²⁰ المصدر نفسه ، ص 31
- ²¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 93.
- ²² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 99.

7.المصادر والمراجع:

- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي و عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط2، 1987.
- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق- سوريا، 2002.
- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، 1984.
- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع- شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1986.
- مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1986.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د ت.
- الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، مجلد 5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط3، 1996.

The New Encyclopedia Britannia , Volum3 ,micropaedia ,Library of congress,15th edition,u.s.a,2003